(٣٤) [الحميد]

ورد اسمه سبحانه (الحميد) في القرآن الكريم في سبع عشرة آية، جاء في بعضها مفردًا، كقوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج: ٢٤]، وجاء في أكثرها مقترنًا بأسماء أخرى من أسمائه سبحانه الحسنى كما في قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٨]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج: ٨].

المعنى اللغوي لـ (الحميد):

«الحمد نقيض الذم، تقول: حمدت الرجل أحمده حمدًا ومحمدة، فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر، والمحمَّد الذي كثرت خصاله المحمودة[(١)].

والحمد أعم وأصدق في الثناء على المحمود من المدح (لأن الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء بخلاف المدح فقد يمدح من لا يُحَبَّ» [(٢)].

---

(١) انظر الصحاح ٢/ ٤٦٦، واللسان ٢/ ٩٨٧ مادة «حمد».

(٢) بدائع الفوائد ٢/ ٩٣.

وقال الأزهري: «التحميد كثرة حمد الله سبحانه بالمحامد الحسنة»[١].

معناه في حق الله سبحانه وتعالى:

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] «ويعني بقوله: (حميد) أنه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله»[٢].

وقال الزجاج: «(الحميد) هو فعيل بمعنى مفعول. والله تعالى هو المحمود بكل لسان، وعلى كل حال كما يقال في الدعاء: الحمد لله الذي لا يحمد على الأحوال كلها سواه»[٣].

وقال الخطابي: «(والحميد) هو المحمود الذي استحق الحمد بأفعاله، وهو فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ فهو محمود على كل حال»[٤].

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: «وهو (الحميد) أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه»[٥].

---

(١) اللسان ٢/ ٩٨٨.

(٢) الطبري ٣/ ٥٨.

(٣) تفسير الأسماء ص ٥٥.

(٤) شأن الدعاء ص ٧٨.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٢١.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

«وهو الحميد فكل حمد واقع ... أو كان مفروضًا مدى الأزمان
ملأ الوجود جميعه ونظيره ... من غير ما عدٍّ ولا حسبان
هو أهله سبحانه وبحمده ... كل المحامد وصف ذي الإحسان»[1]

ويبين ابن القيم- رحمه الله تعالى - أنه وإن كان (الحميد) فعيل من الحمد، وهو بمعنى المحمود إلا أن (الحميد) أبلغ من (المحمود).

يقول رحمه الله تعالى: «وأما (الحميد) فلم يأت إلا بمعنى المحمود، وهو أبلغ من المحمود، فإن فعيلاً إذا عُدِلَ به عن مفعول: دلَّ على أن تلك الصفة قد صارت مثل السجيَّة والغريزة والخُلُق اللازم، كما إذا قلت: فلانٌ ظريفٌ وشريفٌ وكريمٌ، ولهذا يكون هذا البناء غالبًا من فَعُلَ بوزن شَرُفَ، وهذا البناء من أبنية الغرائز والسجايا اللازمة، ككَبُرَ وصغر، وحسن ولطُفَ ونحو ذلك.

ولهذا كان حبيبٌ أبلغ من محبوب، لأن الحبيب الذي حصلت فيه الصفات والأفعال التي يحب لأجلها، فهو حبيب في نفسه؛ وإن قدر أن غيره لا يحبه؛ لعدم شعوره به، أو لمانع منعه من حبه، وأما المحبوب فهو الذي تعلق به حبُّ المُحبِّ؛ فصار محبوبًا بحبِّ الغير له، وأما الحبيب فهو حبيبٌ بذاته وصفاته، تعلَّق به حبُّ الغير أو لم يتعلَّق.

وهكذا الحميد والمحمود، فالحميد: هو الذي له من الصفات، وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محمودًا؛ وإن لم يحمده غيره، فهو

(١) نونية ابن القيم الأبيات (٣٢٣٨ - ٣٢٤٠)، ٢/ ٢١٥.

حميدٌ في نفسه، والمحمود من تعلَّق به حمد الحامدين»[١].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: « (الحميد) في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل»[٢].

ويقول في موطن آخر: «وهو سبحانه حميد من وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم، بل كان مفروضًا ومقدرًا حينما تسلسلت الأزمان، واتصلت الأوقات حمدًا يملأ الوجود كله، العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عد ولا إحصاء، فإن الله مستحقه من وجوه كثيرة منها: أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة، والباطنة الدينية، والدنيوية، وصرف عنهم النقم، والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه، ويشكروه بعدد اللحظات.

الوجه الثاني: أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ص ٤٤٧.

(٢) تفسير السعدي ٥/ ٦٢٤.

يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله، لأنها دائرة بين أفعال الفضل، والإحسان، وبين أفعال العدل، والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى، والآخرة، وتفاصيل حمده، وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقلام»[1]. وشاهد ما قاله الشيخ السعدي قوله ﷺ في أذكار الرفع من الركوع: (**اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينها وملء ما شئت من شيء بعد**)[2].

ويفيض ابن القيم - رحمه الله تعالى - في آثار حمده في ملكه، وأن الملك والحمد في حقه متلازمان كما جاء في كثير من الآيات والأحاديث: (**له الملك وله الحمد**). فيقول...: (والملك والحمد في حقه متلازمان فكل ما شمله ملكه وقدرته شمل حمده، فهو محمود في ملكه، وله الملك والقدرة مع حمده، فكما يستحيل خروجُ شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته، يستحيل خروجها عن حمده وحكمته، ولهذا يحمد سبحانه نفسه عند خلقه وأمره، لينبّه عباده على أن مصدر خلقه وأمره عن حمده، فهو محمودٌ على كلّ ما خلقه وأمر به حمد شكر وعبودية، وحمد ثناءٍ ومدح، ويجمعهما التبارك، فتبارك الله يشمل ذلك كله، ولهذا ذكر هذه الكلمة عقيب قوله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) الحق الواضح المبين ص ٣٩، ٤٠.

(٢) مسلم (٧٧١).

فالحمدُ أوسع الصفات وأعمّ المدائح، والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة، والسبيل إلى اعتباره في ذرّات العالم وجزئياته، وتفاصيل الأمر والنهي واسعة جدًا؛ لأنَّ جميع أسمائه- تبارك وتعالى - حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده وظهر بحمده، وكأن الغاية هي حمده روح كلّ شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات، وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر، ومن الطرق الدالة على شمول معنى الحمد وانبساطه على جميع المعلومات معرفة أسمائه وصفاته، وإقرار العبد بأن للعالم إلهًا حيًا جامعًا لكل صفة كمال، واسم حسن، وثناءٍ جميل، وفعل كريم، وأنه سبحانه له القدرة التامة والمشيئة النافذة، والعلم المحيط، والسمع الذي وسع الأصوات، والبصر الذي أحاط بجميع المبصرات، والرحمة التي وسعت جميع المخلوقات، والملك الأعلى الذي لا يخرج عنه ذرة من الذرات، والغنى التام المطلق من جميع الجهات، والحكمة البالغة المشهودة آثارها في الكائنات، والعزّة الغالبة بجميع الوجوه، والاعتبارات والكلمات التامات النافذات؛ التي لا يجاوُزُهنَّ برٌّ ولا فاجر من جميع البريات... وقد نبَّه سبحانه على شمول حمده لخلقه وأمره بأن حمد نفسه في أول الخلق وآخره، وعند الأمر والشرع، حمد نفسه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرُّده بالإلهية وعلى حياته، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليقُ بكماله؛ من اتّخاذ الولد والشّريك، وموالاة أحدٍ من خَلْقه لحاجته إليه، وحمد نفسه على علوّه وكبريائه، وحمد نفسه

في الأولى والآخرة، وأخبر عن سريان حمده في العالم العلويّ والسّفلي، ونبَّه على هذا كله في كتابه، وحمد نفسه عليه .

فنوّع حمده وأسباب حمده، وجمعها تارة وفرّقها أُخرى؛ ليتعرَّف إلى عباده ويُعرّفهم كيف يحمدونه، وكيف يثنون عليه، وليتحبَّب إليهم بذلك، ويحبّهم إذا عرفوه وأحبوه وحمدوه. قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ ﴾ [الكهف: ١ - ٢]، وقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ ﴾ [سبأ: ١]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ [فاطر: ١]، وقال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠ ﴾ [القصص: ٧٠]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥ ﴾ [غافر: ٦٥]، وقال: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨ ﴾ [الروم: ١٧ - ١٨].

وأخبر عن حمد خلقه له بعد فصله بينهم، والحكم لأهل طاعته بثوابه وكرامته، والحكم لأهل معصيته بعقابه وإهانته: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزمر: ٧٥]، وأخبر عن حمد أهل الجنة له، وأنهم لم يدخلوها إلا بحمده، كما أن أهل النار لم يدخلوها إلا بحمده، فقال عن أهل الجنة:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، و: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠]، وقال عن أهل النار: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [القصص: ٧٤ - ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [الملك: ١١].

وشهدوا على أنفسهم بالكفر والظُّلم، وعلموا أنهم كانوا كاذبين في الدُّنيا، مكذّبين بآيات ربهم، مشركين به، جاحدين لإلهيته، مُفترين عليه، وهذا اعترافٌ منهم بعدله فيهم، وأخذهم ببعض حقّه عليهم، وأنه غيرُ ظالم لهم، وأنهم إنما دخلوا النار بعدله وحمده، وإنما عُوقبوا بأفعالهم؛ وبما كانوا قادرين على فعله وتركه، لا كما تقول الجبرية[1].

الفرق بين الحمد والشكر:

فرق أهل العلم بينهما فقالوا: إن الشكر أعم من جهة أنواعه، فهو

(١) أسماء الله الحسنى لابن القيم جمع وتحقيق يوسف بديوي (٢٠٩ - ٢١٣).

يكون باللسان والقلب والجوارح، وأخص من جهة متعلقاته فيكون على نعم قريبة تجد أو نقمة تندفع.

أما الحمد فهو أعم من جهة متعلقاته، فهو تناول النعم السابقة وغيرها، ويتضمن حمد الله تعالى على أسمائه وصفاته وأفعاله، كما أنه أخص من جهة أنواعه، فهو يقع بالقلب واللسان، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس»[(١)].

والعبد يحمد الله - عز وجل - في السراء والضراء، لأن فعله سبحانه كله حكمة، وخير للعبد.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد)**[(٢)].

فضل ذكر الله - عز وجل - (بالحمد) له سبحانه:

قول (الحمد لله) من أفضل الذكر لله تعالى وقد جاء في كثير من الأذكار والأدعية الصحيحة هذا الذكر العظيم الذي يحبه الله - عز وجل - ويثيب عليه الأجر الجزيل، بل جاء في القرآن الكريم الحث على اللهج بهذا الذكر الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى

(١) انظر مدارج السالكين ٢/ ٢٤٦.

(٢) الترمذي في الجنائز باب فضل المصيبة إذا احتسبت وقال: حديث حسن.

لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ ﴾ [طه: ١٣٠]، وقال - عز وجل -: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر: ٥٥].

أما الأحاديث التي وردت في فضل هذا الذكر والإتيان به في أعمال اليوم والليلة فكثيرة منها:

قوله ﷺ: (**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض**)[١].

عن ابن مسعود ﷺ قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: (**أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له**)... وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: (**أصبحنا وأصبح الملك لله**)[٢].

وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: (**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**)[٣].

وعن أبي ذر ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: (**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله، قلت: يارسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله تعالى، فقال: إنّ أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده**)، وفي رواية: إن رسول الله ﷺ

---

(١) مسلم ٢٢٣.

(٢) رواه مسلم ٢٧٢٣.

(٣) رواه مسلم ٢٧١٥.

سئل أي الكلام أفضل، قال: **(ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده)**[1].

وعن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: **(ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر)**[2].

والمواطن التي جاء فضل هذا الذكر فيها كثيرة، من أشهرها دبر الصلوات وعند النوم مع التسبيح والتهليل والتكبير، وفي استفتاح دعاء التهجد، وأذكار الرفع من الركوع وغيرها.

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الحميد):

سبق القول بأن (الحميد) يأتي بمعنى (المحمود)، أي: أن الله – عز وجل – هو المحمود في ذاته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله، وله الحمد كله وله الثناء الحسن كله، وله الحمد في الأولى والآخرة، وفي السماوات والأرض، وذلك لما يتصف به سبحانه من صفات الكمال والجلال والجمال، ولأن أسماءه كلها حسنى، وأفعاله كلها حسنى تتراوح بين الفضل والرحمة والإحسان، وبين الحكمة والعدل.

وهذه الآثار والمعاني العظيمة لابد أن تثمر في قلب المؤمن آثارًا وعبوديات لله تعالى من أهمها:

أولاً: محبة الله – عز وجل – محبة عظيمة صادقة لا يشاركه فيها أحد من الخلق، وهذه المحبة بدورها تثمر عبوديات أخرى في القلب، كالإخلاص لله

---

(١) مسلم في الذكر والدعاء باب فضل سبحان الله وبحمده.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم في الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح.

تعالى والحياء والأدب مع الله - عز وجل - وعبوديات اللسان والجوارح بالقيام بأوامره، واجتناب نواهيه، والتقرب إليه بطاعته.

ثانيًا: كثرة ذكره سبحانه وشكره، وبخاصة بالأذكار التي تتضمن حمده سبحانه والثناء عليه بالثناء الحسن الذي هو أهل له آناء الليل وأطراف النهار، وعمل اليوم والليلة.

ثالثًا: اليقين بأن الله - عز وجل - هو المستحق للحمد كله على الإطلاق كما قال سبحانه عن نفسه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ واللام في (الحمد) للاستغراق، أي: هو الذي له جميع المحامد بأسرها، وليس ذلك لأحد إلا لله تعالى ولا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه، فهو الحميد في ذاته وصفاته وفي أسمائه وفي أفعاله، فله الحمد على كل حال، في كل زمان ومكان، في الشدة والرخاء، والعسر واليسر، وفيما نحب ونكره، كيف لا! وهو العليم الحكيم، الفعَّال لما يريد، المختار لما يشاء، فمهما يقضي ويقدِّر فهو الموافق للحكمة البالغة، والعلم التام، وأما ما ينسب إلى المخلوق من الحمد فهو جزئي، وحقيقته أنه داخل في حمد الله - عز وجل - فما من محمود يحمد على شيء مما دق أو جل إلا والله المحمود عليه بالذات والأولوية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومعلوم أن كل ما يحمد فإنما يحمد على ما له من صفات الكمال، فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق، والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد، فثبت أنه المستحق للمحامد الكاملة، وهو أحق من كل محمود بالحمد، والكمال

من كل كامل وهو المطلوب»[1].

وهذا اليقين يثمر في قلب المسلم القبول التام، والاستسلام المطلق لأحكام الله الشرعية.

واليقين أنها كلها خير ومصلحة وحكمة، ولو لم ندرك حكمة بعضها، لكن الله تعالى يحمد عليها لما يعلمه سبحانه من الحكمة والخير فيها لعباده، وكذلك أحكامه سبحانه القدرية فما كنا فيها مأمورين بمدافعتها بالأسباب الشرعية دافعنا، وما كان منها أمر مقضي فإن الواجب حينها الاستسلام والرضا واليقين بأن له سبحانه الحكمة البالغة التي يحمد عليها ولو غابت عن عقولنا، وكذلك له الحمد في كل ما خلق في هذا الكون من ناطقه وجامده، وله الحمد على ذلك كله ولو لم ندرك حكمته سبحانه في خلق كثير منها.

كما أن له الحمد في أحكامه الجزائية في الدنيا ويوم القيامة؛ لأنها كلها فضل ورحمة أو عدل وحكمة، وهذه مما يحمد الله -عز وجل- عليها.

اقتران اسمه سبحانه (الحميد) ببعض الأسماء الحسنى:

أولاً: اقتران اسمه سبحانه (الحميد) باسمه سبحانه (الحكيم):

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقد سبق ذكر المعنى المستفاد من اقتران هذين الاسمين الكريمين في الكلام عن اسمه سبحانه (الحكيم) فليرجع إليه.

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٨٣، ٨٤.

ثانيًا: اقتران اسمه سبحانه (الحميد) باسمه سبحانه (المجيد):

جاء اقتران اسمه (الحميد) باسمه سبحانه (المجيد) مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣]، وجاء ذلك أيضًا في أذكار التشهد الأخير في قول المصلي: «**اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبرهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[(١)] وعن المعنى الزائد في اقتران هذين الاسمين الكريمين يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تُثْن عليه لم تكن حامدًا له، وكذا من أثنيت عليه لغرضٍ ما ولم تُحبه لم تكن حامدًا له حتى تكونَ مثنيًا عليه محبًا، وهذا الثناء والحب تَبَعٌ للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال، ونعوت الجلال والإحسان إلى الغير، فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل، كان الحمد والحب أتمَّ وأعظم.

والله سبحانه له الكمالُ المطلق الذي لا نقصَ فيه بوجهٍ ما، والإحسان كلُّه له ومنه، فهو أحقُّ بكلِّ حمدٍ، وبكل حب من كل جهة، فهو أهلٌ أنْ يُحب لذاته ولصفاته ولأفعاله ولأسمائه ولإحسانه، ولكل ما صدر منه سبحانه.

وأما المجد فهو مستلزم للعظمة، والسعة، والجلال، كما يدل عليه موضوعه في اللغة، فهو دَالٌّ على صفات العظمة والجلال، والحمد يدل

(١) البخاري ٣٣٧٠، مسلم ٤٠٦/ ٤٠٥.

على صفات الإكرام والله سبحانه ذو الجلال والإكرام»[1]، ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: عند قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾: «أي حميد الصفات لأن صفاته صفات كمال، حميد الأفعال، لأن أفعاله إحسان وجود، وبر، وحكمة، وعدل، وقسط، (مجيد) والمجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها»[2].

ثالثًا: اقتران اسمه سبحانه (الحميد) باسمه سبحانه (العزيز):

ورد هذا الاقتران ثلاث مرات في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج: ٨]، وقوله تعالى: ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ [سبأ: ٦]، وعن سر هذا الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين يمكن القول بأن: «العزة صفة كمال لله - عز جل - والحمد صفة كمال أخرى، واقتران العزة بالحمد صفة كمال ثالثة لله تعالى.

فله الحمد «على عزته وغلبته، وعلى إعزازه لأوليائه، ونصره لحزبه وجنده»[1].

والله تعالى محمود في عزته، لأنها جارية على سنن الرحمة، وسنن الحكمة،

---

(١) جلاء الأفهام ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) تفسير السعدي ٢/ ٣٧٩.

(١) انظر: مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم، د. نجلاء الكردي ص ٢٠٨.

وسنن المغفرة والتجاوز عن الذنوب، وسعة المواهب والعطايا، فالله تعالى كما وصف نفسه هو: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، وهو: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، وهو: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ ، وهو: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴾ ، وهو: ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾، ولا كذلك العزيز من العباد الذي يتجبر، ويطغى، ويبطش فيخاف إفساده وبغيه وبطشه وتعد السلامة من أذاه غاية المطلوب.

رابعًا: اقتران اسمه سبحانه (الحميد) باسمه سبحانه (الغني):

جاء هذا الاقتران في القرآن الكريم عشر مرات؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وبقية المواضع في سورة الحج، الحديد، التغابن وفاطر، وإبراهيم، ولقمان، والنساء. وعن وجه هذا الاقتران يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - عند آية البقرة: «فإنه سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبًا، ثم ختم الآيتين بصفتين تقتضيهما سياقهما، فقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ فغناه وحمده يأبى قبول الرديء، فإنَّ قابِلَ الرديء الخبيث: إما أن يقبله لحاجته إليه، وإما أن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها، وأما الغنيُّ عنه، الشريف القدر الكامل الأوصاف: فإنه لا يقبله»[1].

(١) طريق الهجرتين ص ٦٦٦ - ٦٦٧.

خامسًا: اقتران اسمه سبحانه (الحميد) باسمه سبحانه (الولي):

ورد هذا الاقتران مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى: ٢٨].

«(والولي) معناه المتولي للأمر والقائم به، ومالك التدبير، وهذا الاسم صريح في الموالاة، ويختص بمصالح العباد وحسن النظر لهم عمومًا في جميع الخلق وخصوصًا في المؤمنين وخصوص الخصوص في المرسلين، والنبيين والصديقين، ولا يصح أن يقال: إن الله ولي الكافرين لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [محمد: ١١]، وعن المعنى الزائد في اقتران اسمه (الحميد) باسمه (الولي) فيمكن القول بأن: «الله - عز وجل - هو ﴿ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ الذي يتولى شؤون عباده، ويدبر أمورهم على نحو يستوجب الحمد والثناء، لاتصافه - عز وجل - بصفات الكمال من العلم والحكمة والخبرة والعزة.. فولايته موصوفة بالكمال، وما كمل كان جديرًا في ذاته بالحمد والثناء.

فكيف إذا كان في ذلك صلاح من تحت ولايته، واستقامة أمورهم؟ ولذلك كان الله - وحده - الحقيق بالحمد على المنع، وعلى العطاء، وعلى المحبوب وعلى المكروه، ولا يحمد على كل حال سواه»[1].

۞۞۞

(١) انظر: مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم د. نجلاء كردي ص ٦٦٠.